

تفسير ابن كثير

يخبر تعالى عن استهزاء المشركين بالرسول صلى الله عليه وسلم إذا رأوه كما قال تعالى : { وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا } الآية يعنونه بالعيب والنقص وقال ههنا { وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا } أي على سبيل التنقيص والازدراء فقبحهم الله كما قال { ولقد استهزئ برسل من قبلك } الآية وقوله تعالى : { إن كاد ليضلنا عن آلهتنا } يعنون أنه كاد يثنيهم عن عبادة الأصنام لولا أن صبروا وتجلدوا واستمروا عليها قال الله تعالى متوعدا لهم ومتهددا { وسوف يعلمون حين يرون العذاب } الآية .

ثم قال تعالى لنبيه منبها أن من كتب الله عليه الشقاوة والضلال فإنه لا يهديه أحد إلا الله { أرايت من اتخذ إلهه هواه } أي مهما استحسنت من شيء ورآه حسنا في هوى نفسه كان دينه ومذهبه كما قال تعالى : { أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء } الآية ولهذا قال ههنا { أفأنت تكون عليه وكيلا } قال ابن عباس : كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زمانا فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني وترك الأول ثم قال تعالى : { أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون } الآية أي هم أسوأ حالا من الأنعام السارحة فإن تلك تعقل ما خلقت له وهؤلاء خلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له وهم يعبدون غيره ويشركون به مع قيام الحجة عليهم وإرسال الرسل إليهم